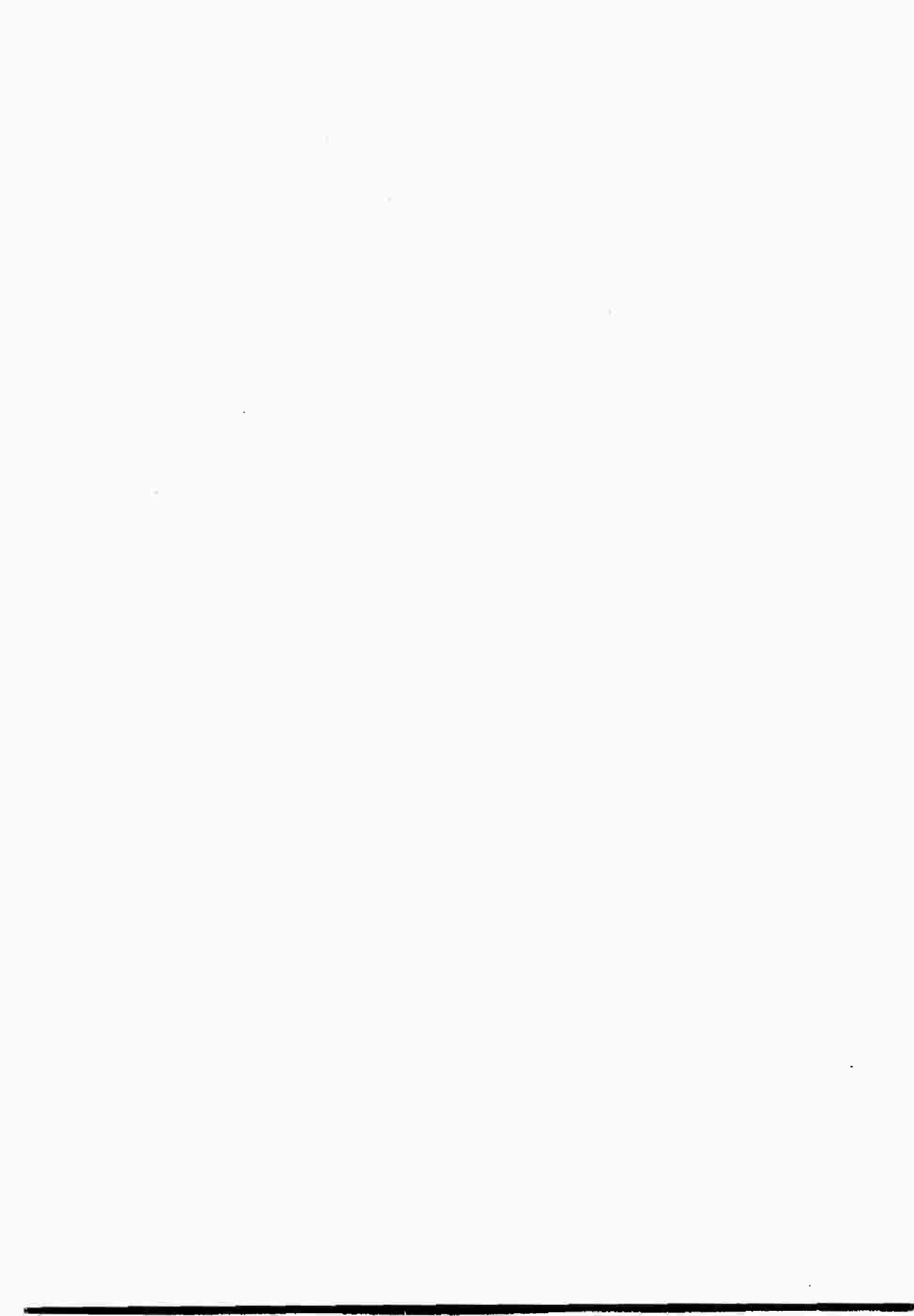


الفصل الخامس

وكانت « الحرب الإعلامية » . . نقطة تحول هي الأخرى !



أنت تكذب مثل راديو القاهرة ! عفواً : أنت تكذب مثل راديو تل أبيب ! !

كانت نظرة الإسرائيليين للإعلام العربى - خاصة بعد يونيو ١٩٦٧ تنبض بالسخرية والتهكم ، حتى أن شبانهم كانوا عندما يمزحون يقولون بعضهم للبعض : « أنت تكذب مثل راديو القاهرة ! ! » .

بل إن الخبراء الإسرائيليين تعدوا نطاق السخرية والقول بكذب الإعلام العربى ، إلى كتابة دراسات يحللون فيها « هذا الإعلام الكاذب . . وأسبابه الاجتماعية » . - وهذا على سبيل المثال - واحد من أشهر الأساتذة الإسرائيليين هو « هركاى » . . كتب يقول :

« إن افتقار العرب إلى الأمانة فى حياتهم العامة ، وميلهم إلى تسميم أفكارهم هى أخطاء شائعة عند العرب أنفسهم ، وهى أخطاء ينددون بها هم أنفسهم » .
.. والواقع أن هذه النظرة لم تكن إسرائيلية فحسب ، ولكنها امتدت إلى دول كثيرة بنت رؤيتها للإعلام العربى على أخطائه فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وقامت الدعاية الصهيونية بتغذية هذه الرؤية بكل الوسائل .

.....

ولكن .. لماذا تحولت الجملة الإسرائيلية الشهيرة « أنت تكذب مثل راديو القاهرة » إلى العكس تماماً .. فأصبحت « أنت تكذب مثل راديو تل أبيب » .. ؟
إن هذا التحول الذى نتعرض له بالدراسة فى هذا الفصل هو نتيجة أخرى للحرب بالغة الأهمية والخطورة . بل إنها فى حد ذاتها تجسيد لنقطة تحول ضخمة فى الصراع العربى - الإسرائيلى كله .

أولاً : فكرة عامة عن جهاز الإعلام الإسرائيلى :

قبل وأثناء حرب أكتوبر كانت هناك عدة هيئات تقوم بالعمل الإعلامى بديلا عن وزارة إعلام خاصة . وهذه الهيئات هى :

١ - الإدارة المركزية في وزارة الخارجية : وتقوم على العمل الإعلامى الموجه للرأى العام العالمى ، وتشرف عليها وزارة الخارجية .

٢ - مكتب المعلومات المركزى . ويشكل من المكتب الصحفى للحكومة هيئة واحدة ترتبط بمكتب رئيس الوزراء . ومهمة هذا المكتب المركزى هى ترسيخ الوحدة الثقافية والروحية والاجتماعية بين السكان فى إسرائيل ، وتعميق ارتباطهم بالدولة . والمكتب مسئول بشكل أساسى عن الإعلام الموجه إلى الداخل .

٣ - المتحدث بلسان الجيش : وهو المسئول مع (هيئة العلاقات العامة) فى وزارة الدفاع عن اطلاع الجمهور الإسرائيلى والخارجى بصفة مستمرة على الأوضاع العسكرية . وبديى أن للمتحدث العسكرى أهمية ضخمة فى أثناء الحروب . . هذا وتتصل هذه الهيئات أو المحطات الإعلامية بشكل مباشر بالمراكز العليا فى الدولة وهى :

(مكتب رئيس الوزراء - وزارة الخارجية - وزارة الدفاع) . وبالتالي فإنها هى التى تقوم بوضع الشكل الأساسى للخطة الإعلامية من خلال ما يصدر عنها من بيانات أو تصريحات أو مؤتمرات صحفية وتنصب عملها فى دار الإذاعة والتليفزيون التى تتصل هى الأخرى مباشرة بمكتب رئيس الوزراء ، وفى الصحافة التى تخضع هى الأخرى لتوجيهات المكتب الصحفى لرئيس الوزراء . وتجدر بنا الإشارة إلى أن ما كان يقدمه الإعلام الإسرائيلى من خلال الإذاعة العبرية كان يتم تصفيته وتعديله عندما يوجه عبر الإذاعة العبرية . . بحيث كان يتم التركيز على الصمود الإسرائيلى ونقاط الضعف فى الجانب العربى .

.....

كيف سار الإعلام الإسرائيلى أثناء الحرب ؟

(أ) كان البيان الأول موجهاً من جولدا مائير رئيسة الوزراء وقتذاك ، وقد أذيع هذا البيان بعد ساعات قليلة من نشوب الحرب ، وركزت فيه مائير على النقاط التالية :

١ - قيام جيش الدفاع بصدد الهجوم المصيرى - السورى .

٢ - قوات جيش الدفاع تكبد القوات العربية خسائر فادحة .

٣ - لم تفاجأ إسرائيل إطلاقاً باندلاع القتال وبالتالي فإن جيش الدفاع كان على

أهمية الاستعداد منذ اللحظات الأولى .

٤ - الثقة كاملة في أن أحداً لن يصاب بالذعر .

٥ - التركيز على أن العرب انتهكوا يوم الغفران اليهودي .

.....

(ب) بعد ذلك . . أعطيت الكرة (الإعلامية) إلى وزير الدفاع الجنرال موشيه ديان وذلك لاستثمار رصيده الشعبي و « البطولي ! ! » وباعتباره من أركان أسطورة جيش الدفاع الذي لا يقهر ، فقام على الفور بالظهور على شاشة التليفزيون (قبل منتصف الليل) ووجه حديثاً جاء فيه أن معارك قاسية تدور على الجبهتين المصرية والسورية وأن إسرائيل لم تكن تريد شن حرب وقائية ، وأنه بعد فترة انتقال محدودة سوف يصل جيش الدفاع إلى كامل قوته المعهودة .

.....

وبعد ذلك عقد ديان مؤتمراً صحفياً - في نفس الليلة - أبرز فيه ما يلي :

- يجري الآن صد المصريين ، وسوف يتم إخضاعهم !

- سترفض إسرائيل وقف إطلاق النار .

- لن تستمر الحرب شهراً أو أسابيع أو حتى أياماً . . فسوف يحسمها جيش

الدفاع الإسرائيلي في وقت قصير جداً يقاس بالساعات ! !

.....

وبرز بعد ذلك دور الجنرال حاييم هرتسوج كبير المعلقين الإسرائيليين ومدير المخابرات السابق . فوجه أول أحاديثه في منتصف الليلة من اليوم الأول (٦ أكتوبر ١٩٧٣) . . وقال فيه :

- إن إسرائيل كانت على أقل درجة من الاستعدادات .

- إن القوات الإسرائيلية على قناة السويس محدودة .

- مع إتمام الحشد سيتم الانتقال إلى مرحلة الهجوم المضاد .

- إن التفوق الإسرائيلي حاسم تماماً . وليس محل مناقشة . !

- سوف يتم انتزاع الأراضي التي احتلها العرب . . وسوف يجبرون على وقف

إطلاق النار .

.....

وإلى جانب المتحدث العسكري (حاييم هرتسوج) توالى تقارير المراسلين الحربيين من خلال الإذاعة ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، وقد ذكرت معظم هذه التقارير صوراً جزئية من المعارك ، وتحدثت عن بطولات كثيرة . . كان واضحاً عنصر المبالغة فيها .

ومن أمثلة هذه التقارير ما قاله المراسل الحربى (عاموس انتنجر) عن أنه تم تدمير وهدم عدد من الجسور التى أقامها المصريون عبر القناة وأنه من المتوقع أن يتم تدمير باقى الجسور سريعاً . وقال عاموس : إن قواتنا المدرعة دخلت فى مرحلة الهجوم . وقد سادت الفوضى بين القوات المصرية نتيجة القصف الذى وجه لها ، وقد تم انقطاع بعض هذه القوات عن خطوط تموينها .

.....

ومن جبهة الجولان قال المراسل الحربى (بحزقييل همئيرى) :
إن ضابط مدرعات شاب لا يتخطى عمره ٢٤ سنة قاد قوة صغيرة فى معركة ضد طابور مدرعات سورية ، واستطاع تدمير أكثر من خمسين دبابة وشاحنة سورية فى وسط هضبة الجولان » .

.....

وتحدثت الصحف العبرية التى ظهرت يوم ٧ ، ٨ أكتوبر عما أسمته بالكوارث العربية الأولى .

فمثلاً قالت لينفارماسيون فى يوم ٧ أكتوبر « من وجهة النظر العسكرية فإن هذه المواجهة المسلحة مع العدو تدور فى ظل استراتيجية أفضل بكثير من مثيلاتها عام ١٩٦٧ .

— وقالت « هآرتس » فى نفس اليوم : « إن واشنطن على ثقة من أن إسرائيل ستصدى للهجوم وتنتهى فى يوم أو اثنين » .

— وقالت « هاتسوفيه » : « إن الضربات التى يوجهها جيش الدفاع الإسرائيلى إلى القوات العربية أقسى من الضربات التى يوجهها إليها فى الماضى » .

.....

ونواصل معاً قراءة بعض ما ذكره الإعلام الإسرائيلى أثناء المعارك لكى نتتقل بعد ذلك إلى ما وقع فيه من تناقضات كشفت انهيار الخطوط الدفاعية والهجومية للإعلام



الجنرال ديفيد أليعازر في أحد تصريحاته الملتزمة
في الساعات الأولى للحرب ، مشاركا بقية القادة
الإسرائيليين حملة إعلامية كسفت المراسلون
لأنها كذبت الفاضح

الجنرال حبيب هيرتسوج المتحدث العسكري
الإسرائيلي في مؤتمر صحفي . . . كان ملهما
من صبرة هزيمة الإعلام لإسرائيل

الإسرائيلي ، مع انهيار خطوط قوات جيش الدفاع .
- في يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ - لخص العميد « يتسحاق حوفي » قائد المنطقة الشمالية
الوضع في الجبهة السورية قائلا :

« إن سلاح الطيران (الإسرائيلي) يقوم بتدعيم ومساعدة القوات المدرعة وهو يعمل
في سماء نظيفة لا طائرات للعدو فيها ، كما أن طائراتنا لا تواجه تقريباً أية نيران أرضية
من قوات السوريين بعد أن تم تدمير معظم بطاريات الصواريخ السورية المضادة
للطائرات بالأمس .

.....
- وفي الجبهة الجنوبية قال العميد « أبراهام مندler » ، قائد القوات المدرعة
في سيناء :

« إن القوات المصرية قد تصدعت . . وإنه يجري ضرب هذه القوات حتى الهزيمة
النهائية . إن سيناء تشهد للمرة الرابعة هزيمة المصريين ! ! »

.....
- أما (ديان) فقد عاد ليثبت تصريحاً آخر عبر الإذاعة العبرية . . قال فيه :
إننا سوف نلحق بالعرب هزيمة رهيبة . إننا سنسحق كليتهم . . وإذا كانوا قد ألحقوا بنا
بعض الخسائر نتيجة المباغته فإننا سوف نلحقهم درساً قاسياً لن ينسوه . وإن النصر الذي
سنحققه لن يستغرق سوى ساعات فقط .

.....
- ويتحدث أيضاً دافيد أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلي ، أمام مئات الصحفيين
الأجانب الذين ازدحمت بهم يوم ٨ أكتوبر قاعة بيت سوكلوف للمؤتمرات وهي المركز
الصحفي لجيش الدفاع الإسرائيلي ، فيقول :
« إننا سنطارد المصريين والسوريين ، . . وسنلاحقهم . . وسنسحق عظامهم وندق
لحمهم » .

- بل إن الإعلام الإسرائيلي وصل إلى الحد الذي أعلن فيه عن وصول مجموعات
السياح إلى البلاد كما كان مقررأ . . وتوقع وصول مجموعتين أخريين في الأيام القليلة
القادمة ! وحتى لو كان الإعلام الإسرائيلي يحاول إخفاء وصول المتطوعين والمترزقة
الذين نشطت الوكالات الصهيونية في جمعهم أو استجارتهم ، بالقول بأنهم « سياح »

إلا أن اللهجة التي أذيع بها الخبر كانت توحى بأن كل شيء يعود إلى ما كان عليه بفصل جيش الدفاع الذي لا يقهر !

- ثم نتوقف أخيراً أمام تقرير للمراسل الحربى «ريلر شور» الذى بعث من جبهة القناة يقول « فى الساعات الأولى للمعركة جرح ضابط شاب ، وبقي فى دبابة مصابة لا تستطيع الحركة . وعلى الرغم من جروحه فإنه نجح فى وصل دبابته بدبابة أخرى كانت مصابة أيضاً ، وبمساعدة قائد هذه الدبابة الثانية أخذ يطارد العدو ودمر دباباته ونقل بعض الجرحى ، ثم هاجم بعض المواقع المصرية ! !

(هكذا رسم المراسل الإسرائيلى للمستمعين والقراء صورة لا يحققها جيش جيمس بوند نفسه ! ! مهما كان خيال المخرج والمؤلف ! !)

التناقض . والارتباك :

إذا كانت بعض دلائل التناقض قد ظهرت فى الصفحات السابقة ، إلا أن المتابعة الدقيقة تكشف الكثير من التناقضات الحادة بما تعكسه من ارتباك إعلامى واضح . ولنلتقط مثلاً هذه النماذج .

- فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ وهو نفس اليوم الذى وعد فيه ديان بسحق «كلية» العرب كما يقول التعبير الإسرائيلى ، وقال فيه أليعازر «إننا سنسحق عظام المصريين والسوريين وسندق لحمهم» فى نفس هذا اليوم . . كان مذيع راديو إسرائيل يقول فى ثقة - إن قواتنا تسحق - أكرر « تسحق » القوات المصرية والسورية . وإن جنودنا فى الجبهة المصرية يقولون «إننا لا نرضى أن نكون مكان المصريين الذين أجهز عليهم تسهال» جيش الدفاع ! ! » . . وأيضاً قال مراسل حربى :

«إننا ننقض وننقض ، ويقول لى رجال مدرعاتنا إن أماننا قوة تفوقنا عدداً ، ولكن المعرفة فى هذه الحالة تلعب دوراً أكبر من العدو المتفوق تماماً مثل لعبة الشطرنج ! ! » . . . ويقول مراسل آخر (ييهو شواع جلون) مراسل الإذاعة العبرية « إن المعطيات القائمة فى أرض المعركة الآن تؤهلنا لإيادة السوريين تماماً : ! ! »

. . . ويقول مراسل آخر (رافى أونجر) من جبهة سيناء :

« إننى أستطيع أن أصف قائد القوة التى أرافقها بأنه صاحب القبضة الساحقة ! ! »

. . . هذا بعض مجازء فى يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ عن سحق القوات الإسرائيلية للمصريين والسوريين..

ولكن في نفس اليوم يحدث التناقض الواضح حين تداع مقابلات مع ضباط وجنود إسرائيليين . . وترد رسائل أخرى من المراسلين الإسرائيليين :

« فتداع مثلاً مقابلة مع ضابط إسرائيلي يقول فيها :

« مازلنا نتعرض لقصف شديد جداً ، وتقع القذائف حولنا ، وبسبب هذا القصف المدفعي تراجعنا إلى الوراء ، لكن القادة يأمرونا بالتقدم إلى الأمام بأي ثمن ، ونحن ننتظر ما سيحدث وفي هذه الأثناء تستمر عمليات القصف » .

« ويقول ضابط آخر من سلاح الطيران في مقابلة مع مراسل الإذاعة العبرية :
« أما بالنسبة للقوات الأرضية فإنها مزودة بمعدات مضادة للطائرات كثيرة وفعالة جداً ، وإن قوة النيران المضادة للطائرات قوية جداً في معظم الجبهات » .

وفي اليوم التالي (٩ أكتوبر ٧٣) وبعد انهيار الهجوم الإسرائيلي المضاد تتوالى الرسائل لتكشف المزيد من التناقض .

فيقول مثلاً مراسل الإذاعة العبرية (روني دانيال) :

« بالأمس كنت شاهداً لنقاش بعض الجنود في آلية نصف مجنزرة ، وكان موضوع النقاش هو : ما الاسم الذي سيطلقونه على هذه الحرب ، وتبلور اقتراح من واحد منهم بأن يكون الاسم « حرب الأيام الرهيبة ! ! »

— ولكن إيجال آلون ، نائب رئيس الحكومة يقول في اليوم التالي (١٠ / ١٠ / ٧٣) :
« إن الجيش الإسرائيلي لن يتوقف عند خطوط وقف إطلاق النار وإذا اقتضت عملية إبادة العدو المصري والسوري ذلك ! ! »

— وفجأة تستجمع جولدا مائير شجاعته وتقول « في نفس اليوم » :
« في هذه الأيام الأربعة واجهتنا ساعات صعبة جداً ، وساعات شجاعة جداً . . لقد حدث تحول نسبي ، ومع هذا فإنني ملزمة بأن أقول لكل واحد منكم إن الحرب لم تنته حتى الآن ! !

.....

واستمر ارتباك وانحيار الإعلام الإسرائيلي طوال أيام الحرب ، لكي يفقد الإسرائيليون أنفسهم والعالم كله الثقة نهائياً فيما يصدر عن أجهزة الإعلام الإسرائيلية .

ونحن لو أردنا أن نضيف أمثلة أخرى — ولو من الفترة التي تصورت فيها إسرائيل أن إعلامها استعاد توازنه — فإننا سنجد ما يؤكد الارتباك والكذب والانهيار .

فمثلاً ها هو ذا ديان يظهر مرة أخرى ليقول في ١٨ / ١٠ / ٧٣ (بعد أن أنقذ

الدعم الأمريكي قوات جيش الدفاع . . مما مكّنها من دفع قوة إلى غرب القناة فيما سمي بالثغرة (يقول ديان :

« إننا قد استعدنا زمام المبادرة في الجبهة المصرية ، هذا بالإضافة إلى زمام المبادرة التي حققناها في الجبهة السورية . إن هناك مفاجآت تنتظر المصريين » .

وبالرغم من أنه (ديان) تجاهل تماماً ما قاله في بداية الحرب من أنها ستستغرق ساعات فقط وليس أياماً (كان قد مر على بدايتها حتى ذلك الوقت ١٢ يوماً !!) فإنه أكد على استعادة جيش الدفاع لزمام الأمور . . بل ووعد بمفاجآت مثيرة . والمعروف أن القوات الإسرائيلية التي كانت تقوم بمهمة الثغرة في ذلك الوقت كانت تعاني من الضربات المصرية القاسية والرهية - كما وصفها الضباط والجنود الإسرائيليون - ولدرجة أن ديان نفسه ومعه بارليف واليعازر وجونين طلبوا من شارون الاقتراب من الشاطئ لاحتال إلغاء العملية كلها !!

.. وعلى أى حال فقد تأكد التناقض الإعلامي العلني حين ظهر المتحدث العسكري حاييم هيرتسورج في (٧٣/١٠/٢١) ليقول :

« إنه يجب الإشارة إلى أن الجيش المصري يقاتل ويعمل كجيش منظم وإن جزءاً من قواته يربط في مواجهة قواتنا دون أن يدخل معه بعد المعركة الشاملة . وكما هو واضح فإن الجزء الرئيسي من جيش العدو موجود الآن في سيناء دون وجود أى مؤشر لإمكانية زحزحته ! » = بل إنه هو نفسه (ديان) عاد يقول في (٧٣/١٠/٢٠) « إنني لا أقول بأن الحرب في الجبهة السورية قد انتهت وبالنسبة للقناة فلا زلنا بعيدين جداً عن احتلال إقليمي وطردهم إلى غرب القناة » .

.....

.. وتستوقفنا الكذبة الكبرى التي لطخت وجه الإعلام الإسرائيلي تماماً وأكدت فيها تضليل إعلام إسرائيل للكثيرين منذ بداية الحرب ، ولعلها تكون امتداداً - بوجه خاص - لتلك الكذبة التي طيرتها وكالات الأنباء في يوم ٧٣ / ١٠ / ٨ كخبر مثير (ومتوقع من الجيش الذي لا يقهر) حين أعلن أن قوات الجنرال آدن قد عبرت القناة في منطقة حزيون ورفقان - وقد تسبب نقل هذا الخبر الكاذب في صدمة مؤلة للصحفي الفرنسي « أين كيوي » الذي سارع بنقله إلى صحيفة « لوفيجارو » . . . أما الخبر . . أو الكذبة الأخيرة التي أقصدها فهي تلك البرقية التي طيرتها وكالات الأنباء يوم ٢٤ أكتوبر

٧٣ عن احتلال القوات الإسرائيلية لمدينة السويس ، وكيف أدل الحاكم العسكري الإسرائيلي (الذى وقف بمسدسه معلقاً فى حزامه وفرجة الانتصار تطفو على وجهه) بتصريح يقول فيه إن مقاومة المدينة انتهت . . وإنها الآن تأتمر بأمره باعتباره الحاكم العسكري
وحين توالى استغاثات القوات الإسرائيلية التى حاولت دخول السويس . . وأصبح الشغل الشاغل للقيادة محصوراً فى إنقاذ من تبقى من هذه القوات وإخراجهم من بين نيران المقاومة الشعبية فى السويس . . كان على إعلام إسرائيل أن يتلع كذبه . . ويبحث عن أى مبرر بعد أن تكشفت الحقائق للعالم كله . وظلت السويس صامدة . . قوية .

وبدبى أن المراسلين الأجانب الذين تدفقوا على إسرائيل لدى اندلاع الحرب ومعظمهم يؤمن بأنه سيتسنى له مشاهدة عرض مكرر لحرب خاطفة مثل تلك التى قام به جيش الدفاع الإسرائيلى فى ١٩٦٧ . . والذين سمع بعضهم لدى وصولهم فى صباح الأحد ٧ / ١٠ / ١٩٧٣ ثانى أيام القتال ، من يقول لهم من الإسرائيليين : « لقد تأخرتم كثيراً . . إن تسهال (جيش الدفاع) على وشك أن ينهى العملية كلها » !
بدبى أن هؤلاء المراسلين قد عانوا كثيراً من الإعلام الإسرائيلى . . فقد سقط كثيرون منهم فى الأكاذيب التى أبلغت لهم فى صورة تقارير وبيانات . وفقد بعضهم سمعته الصحيفة لدى صحيفته وقرائه أو وكالته . . حتى أن رؤساء هيئات التحرير التى يتشتمون إليها فى الخارج أرسلوا لهم يقولون :
« إننا لا نثق فى بلاغات الناطق العسكري الإسرائيلى » :

.. ومن جهة أخرى منع هؤلاء المراسلون الأجانب من السفر إلى خطوط الجبهة خلال الأيام الأولى من الحرب ، ومن حديقة العشب الأخضر فى بيت سوكلوف (الذى استخدم مركزاً للاتصال لجميع الصحفيين المحليين والأجانب) أرسلوا إلى صحفهم يقولون وقد خذلوا تماماً « إن إسرائيل تخفى حقيقة ما يجرى فى ميادين القتال » .
.. وعندما تسلل بعضهم سراً إلى جبهة الجولان . . عادوا إلى تل أبيب لإرسال برقياتهم محاولين خداع الرقابة العسكرية وقد حملوا معهم أخباراً مثيرة للقلق . . فقد أجروا لقاءات مع عدد من الضباط والجنود الإسرائيليين الذين قالوا لهم بشاؤم كبير : « لقد

انتهى عهد الجيش الذى لا يقهر ، وانتهى العيد . وقالوا : « إن الأمر صعب للغاية ، إن العرب يقاتلون أفضل مما كانوا يقاتلون فى عام ١٩٦٧ . الوداع يا سوكون » !

ملحوظة : (استمع المراسلون الأجانب لهذه الأقوال فى الوقت الذى كانت بيانات إسرائيل - التى كان عليهم نقلها لصحفهم وإذاعاتهم - تقول : إن جيش الدفاع قد استعاد تماماً زمام الأمور على الجبهة السورية وإنه دمر الجيش السورى) .

ثم ها هو ذا مراسل اليونيتدبرس . . يتمكن من الاقتراب من جندى إسرائيلى من القوة التى تطوق الجيش الثالث (على حد قولهم) . . وبمجرد أن تحدث مع هذا الجندى الذى سبق تجنيده فى الجيش الأمريكى ، سألته عن موقف قواتهم فقال الجندى : « هل تعرف لماذا أشعر باليأس ؟ انظر . . انظر إلى قوات الجيش الثالث المصرى (فى الضفة الشرقية للقناة) . . لقد كنا نتصور أننا نحاصرهم . . ولكن ها أنت ذا ترى روحهم المعنوية مرتفعة ، وهم دائماً مستعدون للقتال وفى أى وقت . إنهم يدركون تماماً أنهم هم الذين يحاصروننا ولسنا نحن الذين نحاصرهم كما نقول . إننا هنا لا نريد شيئاً سوى العودة إلى بيوتنا » ! !

سمع مراسل اليونيتدبرس هذه الكلمات من الجندى الإسرائيلى فى الوقت الذى كان فيه إعلام إسرائيل يهلل ويصدر البيانات والتصريحات عن سوء حالة الجيش المصرى الثالث (المحاصر) .

وقد علق المراسل على ما سمعه قائلاً : الآن عرفت لماذا يمنعنا المسئولون الإسرائيليون

من الالتقاء بمجنودهم ! !

.....

.....

مواقف وصور من أوراق الإعلام الإسرائيلي

١ - ماذا تقول إذاعة القاهرة . . يا كوستا ؟ !

تسرب القلق (الذى كان بمثابة نهاية العالم) رويداً رويداً إلى داخل إسرائيل . تسرب هذا القلق (كما يقول جان كلود جيوه) مثلما يتسرب السم البطيء داخل جسم الإنسان . كان كثيرون يعرفون حقيقة الموقف لأن إسرائيل كبلد صغير لا يمكن إخفاء خبر عنه لمدة طويلة . كما أن إمكانية الاستماع إلى الإذاعات الأخرى متاحة فى كل الأحوال .

وفى استوديوهات إذاعة إسرائيل كان الفنيون مترعجين بعد سماع الأشرطة التى بعث بها المراسلون من الجهة « التى كانت الرقابة قد منعت إذاعتها » . . وبدءوا ينقلون الأخبار .

وقد وقعت حادثة عجيبة فى استوديوهات أجهزة التصنت للإذاعات العربية التى تقع فى شارع (صدين هاما لكا) . وكان المسئول عن الجهاز رجلاً يبلغ التاسعة والثلاثين من العمر ، وهو من أصل مصرى يدعى (سقراط كوستا) . وكان قد استدعى مثل الجميع فى ٦ أكتوبر ، وطوال ثمانية وأربعين ساعة تابع وسجل جميع النشرات الإخبارية التى نقلتها إذاعات القاهرة ودمشق وبيروت وقد دهش كثيراً لسماع تلك البيانات إذ لاحظ أنها بيانات معتدلة وأكثر تحديداً ودقة من بيانات إسرائيل الصاخبة .

وعندما غادر سقراط كوستا مكتبه يوم الثلاثاء ٩ / ١٠ / ٧٣ التف حوله جيرانه وأصدقاؤه وأخذوا يسألونه :

« ماذا تقول إذاعة القاهرة يا كوستا ؟ وماذا تقول إذاعتا دمشق وبيروت . .

يا كوستا ؟ ؟ »

.....
.....

٢ - لقد كان الأمر رهيباً رهيباً :

بمجرد إعلان وقف إطلاق النار اتجه أحد ضباط المظلات الإسرائيليين الذين كانوا ضمن قوات شارون في الثغرة ، اتجه على الفور إلى مبنى التلفزيون الإسرائيلي معرباً عن سخطه لما كانت تنقله إذاعتهم ، وأخذ يصيح في وجوه كل من يقابلهم .
« إنه شيء لا يمكنكم أن تتصوروه . . لقد كان الأمر رهيباً هذه المرة . . كان الأمر رهيباً . . رهيباً ! ! »

٣ - أجراً عملية تزوير إعلامي :

لم يقتصر خداع الإعلام الإسرائيلي للرأى العام العالمى على إصدار بيانات مضللة ونقل تقارير كاذبة عن سير العمليات بجهات القتال . ولكن تشبهاً بأوهام الماضي ، وفى محاولة للحفاظ على صورة جيش الدفاع الذى لا يقهر والجندى (الإسرائيلي) السوبرمان قام إعلام إسرائيل بارتكاب أجراً عملية تزوير (إعلامي) . فبينما كان العالم يتابع أخبار الحرب الدائرة محاولا الموازنة بين ما يسمعه من مصادر مختلفة . . وفى الوقت الذى بدأت تنمو فيه الشكوك تجاه ما يصدر عن إسرائيل من أخبار وتحقيقات . . . وصلت إلى محطات التلفزيون فى الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا وأمريكا اللاتينية أفلام من إسرائيل تصور القتال على الجبهتين المصرية والسورية .

وفى البداية انخلعت قلوب العرب الذين يعيشون فى تلك البلاد ، وشعر المتعاطفون مع القضية العربية بالحزن يتسلل إلى مشاعرهم ، بينما ابتسم الآخرون . . وهم يقولون :
« إن إسرائيل تكتسح - كالعادة - القوات العربية . ألم نقل لكم إن جيش إسرائيل لا يقهر . . وإن العرب لا قبل لهم بالقوات الإسرائيلية المتفوقة المتحضرة ؟ ! »
.. وفجأة . . « سقطت السماء فوق رأس الإعلام الإسرائيلي . . لقد اتضح أن هذه الأفلام التلفزيونية مأخوذة من أفلام حرب يونية ١٩٦٧ . . وتكشفت أجراً عملية تزوير إعلامي . . قامت بها إسرائيل . .

وزادت فجوة الشك وعدم التصديق بين العالم . . والإعلام الإسرائيلي .

٤ - ولم تفلح الوقعة :

حاول الإعلام الإسرائيلي الضرب على وتر الخلافات بين الدول العربية وبين بعضها والاتحاد السوفيتي . وكانت أولى هذه المحاولات يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ حين أذاعت الإذاعة الإسرائيلية خبراً وهمياً يقول : « إن رئيس الحكومة اللبنانية اجتمع بالسفراء العرب في بيروت وطلب إليهم التأثير على « المخابرات الفلسطينية » لكي لا يقوموا بأية عملية من شأنها أن تعطى إسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » .

وفي نفس اليوم قالت إذاعة إسرائيل « إنه مع بدء اليوم الثالث للمعارك تستمر الدول العربية بالتعهد بتقديم المساعدة خطياً وشفهياً لكل من مصر وسوريا ! ! »

وفي ١١ أكتوبر ١٩٧٣ نفتت إذاعة إسرائيل من خلال فم البروفيسور شمعون شمير محاولة سامة للوقعة بين مصر وسوريا فقال في تحليل له : « لقد بدأت تطرح في أوساط العرب بعض الأفكار حول أهداف المصريين من الحرب وهناك من يقول إن المصريين جعلوا من السوريين لقمة مدفع . لكي يستطيعوا هم أنفسهم إحراز مكاسب إقليمية في سيناء » .

وفي اليوم نفسه قال هيرتسوج : إن الذي يحدث الآن هو أن الجيش المصري الذي قام بعملية اختراق أولى في قناة السويس لم يتقدم ، وسيجد نفسه في تشكيل مغلق في الوقت الذي ينفك فيه الجيش السوري دمه ويقاتل دفاعاً عن حياته ، سينجم عن هذا الواقع تبعات خطيرة في العلاقات العربية .

وتلقى جولدا مائير خطاباً في ١٣ / ١٠ تقول فيه : « إن الاتحاد السوفيتي لا يعطى الأسلحة حباً في العرب وإنما انطلاقاً من مصالح واضحة خاصة به ، إن السوفيت لا يهمهم ولا يعينهم موت آلاف العرب واليهود ! ! »

ويعود هيرتسوج ليمسك بعضاً القيادة لألحان الوقعة فيقول : « إن دعم القوات العراقية لسوريا ليس عملية دعم عسكرية فقط . فالיום هناك فرقة عراقية في سوريا ، وقد جاءت من بغداد حيث يحكم جناح حزب البعث الذي يخوض صراعاً ضد جناح حزب البعث الحاكم في سوريا ! ! »

.. ويمتد اللحن السام بتعليق لإذاعة إسرائيل يقول : « إنه اتضح من التحقيق مع بعض الجنود المغاربة الذين وقعوا في الأسر أن السبب الذي أرسلوا من أجله إلى سوريا لم

يكن واضحاً لديهم حتى اللحظة الأخيرة وأنهم لم يعرفوا أنهم سيقاثلون ضد إسرائيل وأن مصير قواتهم كان مرأاً !! »

. . ولا تتوقف محاولة الإعلام الإسرائيلي عند حد محاولة الوقيعة بين الدول العربية ، بل إنها امتدت لتحاول الوقيعة بين أفراد القوات المصرية أنفسهم وكذا بين أفراد القوات السورية . فمثلاً أذاع المراسل الحربي (يوسف سوخير) في يوم ١٣ / ١٠ رسالة يقول فيها : « إن طبيباً مصرياً كان يرافق وحدة من الكوماندوز قال له إنه تلقى تعليمات واضحة بأن يعالج الضباط فقط لا الجنود !! »

ومن جهة أخرى يقول تعليق صحفي : « إن الثقة مفقودة بين الضباط السوريين من السنيين والشيعية والعلويين وبين الضباط السوريين من الدروز !! »

. . هكذا حاول الإعلام الإسرائيلي إحداث الوقيعة بأي شكل وبكل الوسائل الملائمة . . لكن هذه المحاولات ، أمت جميعها بالفشل الذي أضيف إلى رصيد إعلام إسرائيل من الفشل المتوالى . فقد كانت الدول والشعوب العربية واعية تماماً ومدركة لأهداف هذه الحملات الإعلامية . بل إن المواطن العربي البسيط كان يكتشف بسهولة عملية الخداع السامة فيما يصدر عن إعلام إسرائيل ، فهو يعرف مثلاً أن موقف لبنان كان طيباً طوال أيام الحرب وأن ذلك لاحتماج الذي تحدثوا عنه من ابتكار الخيال الإسرائيلي . كما أن الدول العربية لم تكن بالمساعدة (الشقية) كما قالت إذاعة إسرائيل بل إن هذه الإذاعة نفسها أخذت تصدر من تلقى المساعدات من الدول العربية ، وأخذت تنعى حظها عندما دخل سلاح الدروز العربي سوريا . كذلك فإن المواطن العربي البسيط كان يعلم جيداً مدى التنسيق بين الجيش المصري والسوري . ذات التنسيق الذي تبلور في الكثير من مراحل الحرب . ولم يترك المصريون جرحى سوريين يترفعون . ويتحطمون طويلاً هجوماتهم خصيصاً لتخفيف الضغط عن الجيش المصري .

ماشتهروا كان يديها أن إسرائيل لا تسمح لهم أن تاحر المساعدات العربية ولا يسمها مصانع سوريا . فتحدثوا تارة من أن الجيش المصري العراقي . ولديها في الحرب أن مصر جعلتها تقبل مدفع .

كما أنها - إسرائيل - ليست باتت كيد حريصة على الجندي المصري . فتنبال دموعها تعاطفاً معه لأن أطباء الجيش يعالجون الضباط الجرحى فقط ويتركون الجنود كما اخترع إعلامها على لسان أحد مراسليها . وأخيراً . . فإن سذاجة الادعاء بأن القوات المغربية جاءت

إلى سوريا دون أن تعلم أنها ستدخل حرباً أو أنها ستقاتل إسرائيل . . أمر يثير السخرية والشفقة على تهاوى قلاع الإعلام الإسرائيلي . . فليس هناك ذلك الإنسان الساذج (العييط) الذى يتخيل أنه جاء ضمن قوات من جيشه إلى سوريا للسياحة مثلاً أو حضور مباراة فى كرة القدم أو أنه لو قدر واشترك فى الحرب فإن عدوه سيكون مثلاً الجيش البرازيلى أو الرومانى . . المهم أى جيش إلا جيش إسرائيل ! !

.....

سذاجة . . لم تفلح السموم فى إخفائها . .
وسقوط آخر للإعلام الإسرائيلى . . أليس كذلك ؟ !

.....

٥ - إذاعتنا تكذب . . أنتم تكذبون ! !

فى مساء الاثنين ٨ / ١٩ / ٧٣ . . وصل المراسل الحربى الإسرائيلى « بريميا يوفيل » إلى أحد الخنادق فى سيناء ، وما كاد يعد جهاز التسجيل ويقترب بالميكروفون من أحد الجنود حتى صاح فيه الجميع : « إنكم تكذبون . . إن الإذاعة تكذب . . إنكم تكذبون ؟ ! »

وفتح أحدهم الراديو الترانزستور . . الذى انطلق منه صوت المذيع وهو يقول : « إن قواتنا تسحق - أكرر تسحق - المصريين ! ! » . . واتصل بريميا يوفيل بإذاعة « صوت إسرائيل » بطريقة عاجلة وصرخ قائلاً أوقفوا هذه الأكاذيب إنكم تخدعون أنفسكم إن الموقف هنا فى جبهة سيناء . . سيئ للغاية ! !

ولم يرد عليه أحد . . بل أغلق التليفون فى وجهه ، فأمسك هو بالسמاعة وألقاها على أرض الخندق ، والتف حوله ثلاثون من الجنود وكانوا منهكين واجمين وقال له أحدهم : « لا تغضب . . فأنت لست مسئولاً عن هذه الأكاذيب . . بيد أن زملاءك الذين يعملون فى صوت إسرائيل لن يضيرهم شيء إذا اعترفوا بالحقيقة ! ! »

ولم يجب يوفيل . . وبعد لحظة عادت الإذاعة تكرر بيانها : (إن قواتنا تسحق - أكرر تسحق - المصريين . . إن جنودنا فى سيناء يقولون إنهم لا يرضون أن يكونوا مكان المصريين الذين أجهز عليهم جيش الدفاع « تسهال ») ! !

٦ - وتحطم « جازيت » لأنه نشر الخريطة الحقيقية !

توالى تبديل وتغيير المسؤولين عن الإعلام الإسرائيلي في محاولة لإنقاذه من الفضائح المتتالية . وبعد أن استدعى أهارون ياريف (رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق) ليتولى هذه المسؤولية ، اعتزل مهمته كمستول عن الإعلام في اليوم الثالث . واقترح موشيه ديان على السيدة مائير رئيسة الحكومة أن تضع شئون الإعلام في نطاق مسؤوليتها ، وقد وافقت على ذلك ، ولكن بعد أقل من اثنتي عشرة ساعة اتصلوا هاتفياً من مكتبها بديان وقالوا له : « ليس عندنا شخص ملائم لتولى هذه المهمة » وهكذا أعيدت الكرة إلى وزارة الدفاع ، فقام ديان بتعيين الجنرال « شلوموجازيت » منسق الأعمال في المناطق المحتلة ، مسئولاً عن شئون الإعلام . وبعد أسبوع تحطم جازيت أيضاً وأبعد عن مسؤوليته الإعلامية فماذا كان الخطأ الفادح الذي ارتكبه ؟ !

إن مؤلفي كتاب المحدال الإسرائيليين يقولون إجابة على هذا السؤال : « لقد ارتكب جازيت خطأ فادحاً عندما عرض خريطة توضح الخطوط التي وصل إليها الجيش الإسرائيلي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، لأنه في اليوم التالي عندما تم توسيع مجال السيطرة الإسرائيلية غربى القناة على إثر خرق وقف إطلاق النار عرضت الخريطة التي رسمها (جازيت) كبرهان على مكان وقوف القوات الإسرائيلية في اليوم الذى أعلن فيه وقف إطلاق النار !! »

. . هكذا طرد مسئول الإعلام لأنه لم يتبته لأسلوب الخداع والكذب الذى مارسه الإعلام الإسرائيلي . . فكان نشره لتلك الخريطة التي وضحت موقف القوات الإسرائيلية في الثغرة قبل انتهاكها لقرار وقف إطلاق النار . . دليلاً على أمرين هامين :

١ - ضعف وحرج موقف هذه القوات التي بدأ تنفيذ القرار وهي بين فكي القوات المصرية .

٢ - انتهاك إسرائيل لقرار وقف إطلاق النار لكي توسع هذه القوات من الأرض التي تنتشر عليها حتى تخف قبضة القوات المصرية عليها !

هـ ونستطيع أن نقول بصورة أخرى إن الإعلام الإسرائيلي حين أخطأ فذكر الحقيقة كشف الفشل العسكرى ، وحين عاقب المسئول عن ذكر هذه الحقيقة ، أكد الإصرار على انتهاج أسلوب الكذب والخداع . . فهو بذلك قد سقط مرتين !!

٧ - كذب . . وفشل . . وإنهيار :

يصف مؤلفو كتاب التقصير موقف الإعلام الإسرائيلي فيقولون في أكثر من موقع :
(أ) لم يعد الجنود الإسرائيليون يصدقون كلمة واحدة مما تبثه إذاعة صوت إسرائيل
فبينما هم مجبرون على صد العدو المصري كانوا في الإذاعة يتحدثون قائلين :
« إن قواتنا تسحق وتبيد وإننا نكسر عظام الجيش المصري ! ! »

(ب) . . في اليوم الثاني ، عندما اتضح أن الوضع على الصعيد الإعلامي سيئ
كالوضع في الجبهات . تم البحث عن شخص آخر ليتولى مسؤولية الإعلام واستدعى
الجنرال أهارون ياريف ليقوم بهذه المهمة وعندما اتضح أن أزمة الثقة أكبر مما كان متصوراً
تقرر عقد مؤتمر لكشف أقل القليل من الواقع المرير ! ! .

(ج) ربما كان أحد أسباب الفشل التام الذي منى به الإعلام الإسرائيلي يعود إلى
أسلوب المسؤولين عن جهاز الإعلام التابع للجيش الإسرائيلي ! !

(د) لكن مرشيد ديان لم يغفر للعقيد « لاهف » ما حدث خلال الأيام الأولى
للحرب . وتسبب ما أراد أن يحمله مسؤولية فشل الإعلام التي تقع على عاتقه هو ، وسعيًا
لتزيم الحطام عينوا ضابطاً بالرتبة نفسها مسؤولاً إعلامياً

٨ - التضليل . . والبيانات المتبججة . . وافتناقض

كتب يوثيل ماركوس في صحيفة هآرتس (٦ / ١١ / ١٩٧٣) يقول :
ليس من شك في أن الجمهور يمر في أزمة ثقة . فهو لا يثق بالمسلمات والنظام
والإعلام . ولدى كثيرين شعور بأنهم خدعوا ولم تقل لهم الحقيقة ! . . والأسوأ من هذا
أن أحداً لم يخبرهم حتى الآن بالحقيقة ! ! إن الشك يسودنا : الشك فيما حدث ،
والشك فيما يحدث الآن !

إن أزمة الثقة هذه لم تتولد دفعة واحدة . لقد تولدت على مراحل عندما كان الجمهور
يكتشف في كل مرحلة شيئاً جديداً لم يكن يعرفه في المرحلة السابقة !

لقد بدأ كل شيء في اليوم الأول من الحرب عندما بدأت حملة من التشويه والإخفاء
والتضليل والكذب المفضوح بهدف رفع المعنويات كما قيل . ولقد اتضح هذا للدرجة

أصبحت معها برامج الأخبار العبرية من راديو القاهرة والتلفزيون الأردني مصدر معلومات موثوقاً به أكثر من إسرائيل !!

أى تدهور هذا الذى وصلنا إليه ؟ ؟ لقد علمنا من التلفزيون الأردني أول مرة - عن طريق صور حية ظهرت فيها الأعلام المصرية على تحصيناتها بأن المصريين موجودون في خط بارليف . وعندما كان ناطقون موثوق بهم يتحدثون هنا في إسرائيل - في اليوم التالي للحرب - عن « تحول » وعن هجوم مضاد - وعن أن « قواتنا تبيد المصريين » كان بالإمكان الاستماع في كل ساعة إلى راديو القاهرة يذيع بالعبرية تفاصيل ما حل بدبابات عساف ياجورى ، وفي اليوم نفسه ، الذى تناخر فيه معلق رسمى في تل أبيب بأن سلاحنا الجوى دمر كل الجسور التى أقامها المصريون على القناة أعلن أحد مراسلي « نيوزويك » الذى رافق القوة المصرية التى عبرت القناة أن ٧٠ ألف جندي مصري مع ٩٠٠ دبابة قد عبروا « الجسور » (التى قلنا إنها لم تعد قائمة ! !) .

وعندما أعلنت شخصيات مرموقة عندنا عن إصابات لقواتنا هنا وهناك - وعن دبابات للعدو دخلت هنا وهناك ، عرف الآلاف من جنود الاحتياط (الذين كانوا بين المدنيين) إن « هنا » و « هناك » تعني أن المصريين قد سيطروا على قناة السويس بكاملها وأن المصريين قد وصلوا إلى نصف هضبة الجولان تقريباً .

ويضيف الكاتب الإسرائيلي قائلاً :

« خلال هذه الحملة من التضليل ، والبيانات المتبجحة ، والتناقض ، وعدم الدقة ، والإخفاء المتعمد أصيبت ثقة الجمهور بضرورة أخرى . وكان ذلك عندما بدأ يتضح أن وجهة نظر سياسية أمنية كاملة قد انهارت تماماً . ويبدو لي أن نقطة التحول حدثت عندما علمنا بالحصار المصرى على « باب المندب » في اليمن الجنوبي فقد اتضح لنا فجأة أن شرم الشيخ ليس حيويًا كما كنا نعتقد طوال أعوام عديدة .

وإلى جانب ذلك انهارت « الشعارات » القائلة « إن وضعنا لم يكن في أى مرة أحسن مما هو عليه الآن » و « إن الزمن في صالحنا » وإن العرب لا يستطيعون مهاجمتنا . إلخ .

ويختتم ماركوس دراسته قائلاً :

« إن التقارير الكاذبة جاءت مع الارتباك الذى تولد في أثناء الحرب »

.....
.....

ماذا تقول إذاعة القاهرة . . يا كوستا ؟ !

بادئ ذي بدء لم يحدث خطأ مطبعي . . أو تكرار غير مقصود لهذا العنوان . . فلقد آثرت أن أجعل عنوان هذا الباب عن الإعلام العربي . . هو نفسه العنوان الذي تناولت فيه إحدى الوقائع التي تكشف فقدان الثقة في الإعلام الإسرائيلي . . وذلك لأنه يكشف في نفس الوقت النجاح الذي حققه الإعلام العربي ، والثقة التي اكتسبها ليس فقط لدى الرأي العام العالمي ولكن لدى الإسرائيليين أنفسهم .

.....

فكيف تحقق هذا النجاح . . وتلك الثقة ؟

كيف وصل الأمر إلى حد أن الإسرائيليين كانوا - أيام الحرب - يتجمعون في شارع (صدلين هامالك) ليسألوا (سقراط كوستا) المسئول عن أجهزة الاستماع للإذاعات العربية . . عما تقوله إذاعة القاهرة وإذاعتا دمشق وبيروت ؟

كيف حدث هذا التحول الخطير . . فانتقل الإسرائيليون من السخرية من إذاعة القاهرة وضرب المثل بها في مجال الكذب . . إلى البحث عما تقوله « عن ثقة في كل ما يصدر عنها ؟ ؟ » إن هذا التحول البارز يجعلني أركز في حديثي على الإعلام المصري لأنه - كما اتضح - كان محور الهجوم والسخرية طوال أعوام ما قبل ١٩٧٣ - ولأنه وهذا منطقي - نموذج للإعلام العربي كله .

هكذا . . تحرك الإعلام المصري

أولاً - ما قبل ساعة الصفر : (اجتياز « حاجز اهتزاز الثقة »)

كانت المسؤولية الملقاة على عاتق الإعلام المصري مسئولية ضخمة وحساسة إلى حد كبير ، فمثلما كان على القوات المسلحة أن تجتاز قبل كل شيء حاجز الخوف الذى أقامته عالياً ضارياً أحداث يونيو ١٩٦٧ والدعايات الصهيونية التى انطلقت فى جهد مخطط وكبير لكى تحول هذا الحاجز إلى حقيقة مخيفة . كان أيضاً على الإعلام المصري أن يجتاز - قبل كل شيء - فجوة اهتزاز الثقة التى بدأت أيضاً مع حرب ١٩٦٧ . وتلقفتها الدعاية الصهيونية لكى تجعلها حقيقة ثابتة . وما عداها مجرد استثناء ! ! وكانت هذه الفجوة تقف بكل أبعادها بين المواطن العربى وإعلامه ثم بين العالم الخارجى والإعلام العربى .

ومن خلال التفهم الواعى لهذا « الواقع الإعلامى » ، ومن أجل القيام بالدور المرتقب من ساعة الصفر . استحدثت الخطة التى وضعها المسئولون عن الإعلام المصرى اتجاهات متعددة ومحددة لاجتياز تلك الفجوة ، وبالفعل استعاد الإعلام ثقة واحترام الكثيرين عندما اختفت تماماً المبالغات والتشنجات الإذاعية والصحفية ، وسادت الثبرة الهادئة الموضوعية . وتغلب جانب التحليل العلمى المركز على التفسيرات الانفعالية . . كما أنه تم تدارك ذلك الخطأ المتمثل فى تجاهل ما يصدر عن إعلام العدو ومنع تداوله فأصبح طبيعياً - إلى حد كبير أن ينشر ويذاع ما يكتبه ويذيعه إعلام إسرائيل أو أصدقاؤها فى العالم العربى ولكى يخضع ذلك كله للتعليق والتحليل بالأسلوب العلمى الهادئ ، ولعل هذه الخطوة بالذات كانت دليلاً على استعادة الإعلام المصرى لنضجه وذكائه .

ثانياً : الخطة الإعلامية الخداعية « لقد خدعنا إعلامكم الذكى ! ! » :

بعد أن توقف إطلاق النار . سارع كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى إلى بدء جهوده من أجل تحقيق حل سلمى يمنع انفجار الموقف مرة أخرى ، وفى أولى زيارته للقاهرة وأثناء مأدبة العشاء ، التقى بالدكتور عبد القادر حاتم ، الذى كان نائباً لرئيس

الوزراء ووزيراً للإعلام منذ الأيام الأولى لثورة « ١٥ » مايو التصحيحية ، وقد قال كينسجر للدكتور حاتم : « أعترف لك بالذكاء . فقد خدعنا إعلامكم الذكي ، وباعد بيننا وبين التدبير الذي كان واجباً أن نتنبه إليه ! ! »

ولعل ما قاله كينسجر - معبراً عن رأيه واستنتاجات الأجهزة الأمريكية المختلفة - يمكن لتوضيح ما قام به الإعلام المصري من دور بارز في تنفيذ الخطة الخداعية الشاملة التي ابتلع العدو والعالم « طعمها » وكانت « المفاجأة » في وقت ومكان يصعب أو يستحيل فيه تحقيق المفاجأة خاصة بهذا الحجم ! !

ومن المعروف أنه لإحكام تنفيذ الجانب الإعلامي من هذه الخطة كانت قد تشكلت لجنة عليا برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم وممثلين لوزارات الحرية والخارجية والإعلام . كما أن الاتصال كان مستمراً بين مسئول الإعلام (الدكتور حاتم) ووزير الحرية المشير أحمد إسماعيل على رحمة الله .

ثالثاً - الإعلام المصري في المعركة : (إذن كان المصريون يصدقون)

(١) بالإضافة إلى كل ما ورد في الحديث عن الإعلام الإسرائيلي ، وكيف اتجهت الثقة كلها إلى الإعلام المصري تستوقفنا هذه الواقعة التي شهدتها شاشة التلفزيون البريطاني في آخر أكتوبر ١٩٧٣ ، عندما استضاف برنامج « البانوراما » مدير الإعلام الإسرائيلي ، وقال له المذيع البريطاني : « لقد كنتم اليعون من محطة إسرائيل أنكم ستهبذين عظام الجيش المصري . وأنكم خضعتوا رجالاتكم ، فكيف يتفق هذا مع ما نؤكد للعالم أجمع من مزيجاتكم ؟ » كانت الإداعة المصرية تدفع التصارات المصرية في تواضع وبدون مبالغة ، فها هو :

وهذا جانب مدير الإعلام الإسرائيلي قائلا :

« إننا كنا نريد أن نرفع الروح المعنوية للشعب والجنود الإسرائيليين ! ! »

- وعقد المذيع البريطاني على ذلك بقوله .

« إذن كنتم تكذبون . . وكان المصريون يصدقون ! ! »

.....

وتستوقفنا - بعد هذه الواقعة الهامة - شهادة أخرى جاءت هذه المرة على لسان وزير الخارجية الفرنسي الذي أدلى بحديث قال فيه :

« إنه لأول مرة يؤكد الإعلام المصرى الثقة فيه بإعلانه الحقيقة بصدق كامل ، الأمر الذى جعله يكسب ثقة الدول الغربية ، بينما كانت إسرائيل لا تذيع الأخبار الحقيقية الصادقة على العالم ! ! »

.....

(ب) منذ اتخاذ القرار ببداية المعركة تم الانتقال الفورى من خطة ما قبل المعركة إلى تنفيذ خطة المعركة ذاتها ، وقامت كافة الأجهزة بتنفيذها على أكمل وجه تحت إشراف لجنة العمل الوطنى العليا . وأستطيع أن أقول إنه مما يسر تنفيذ هذه الخطة أنها كانت - فى معظم مراحلها - امتداداً طبيعياً للخطة السابقة .

وقد التزمت هذه الخطة الإعلامية (القتالية) بالمبادئ الأساسية التالية :

- ١ - الهدوء . . والبعد الكامل عن الزعيق والتشنج الإعلامى .
- ٢ - مخاطبة العقول . . وليس العواطف .
- ٣ - الصدق الكامل وتأكيد الثقة فى كل ما يصدر عن أجهزة الإعلام .
- ٤ - السرعة فى نقل الأخبار .

(>) تنفيذاً لهذه المبادئ تم نقل ما يدور على جبهة القتال إلى جماهير الشعب بصورة منتظمة وسريعة ، حيث انتقلت عناصر تمثل كافة أجهزة الإعلام إلى جبهة القتال وشاهدت أرض المعارك أعداداً كبيرة من المراسلين الحربيين المصريين المؤهلين للقيام بهذه المهمة . . وقد أثمر ذلك كله فى نقل صور حية لما يدور فى ميدان القتال وللبطولات العديدة التى حققها المقاتلون المصريون ، بل إن عدداً من المراسلين انتقلوا إلى الجبهة السورية ومن هناك اكتملت صورة المعارك والبطولات للقوات العربية المسلحة .

- تم تقديم التسهيلات اللازمة لأكبر حشد صحفى عالمى شهدته مصر ، وقام المتحدث الرسمى والمتحدث العسكرى بالعمل فى تنسيق متكامل من أجل إعطاء صورة كاملة للأحداث سياسياً وعسكرياً ، وذلك بالإضافة إلى ما نقله هؤلاء المراسلون بأنفسهم من جبهات القتال .

- وإلى جانب توخى الصدق الكامل مما حقق الثقة فى كل ما يصدر عن الإعلام المصرى العربى منذ الأيام الأولى للحرب ، نجحت أجهزة الإعلام المصرى فى شن حرب نفسية على العدو . . مما أضعف معنويات جنوده وقادته . وبالرغم من أن الحروب النفسية تستلزم عادة نوعاً من المبالغة والتلفيق فإن الإعلام المصرى تمسك بالصدق فقط . . وقد

أضاف ذلك إلى نجاحه في هذه الحرب . خاصة وأنه اعتمد على ما كان يقوله العدو نفسه قبل الحرب بالثقة والغرور . . وما اعترف به ضباطه وجنوده أثناءها وبعدها .

- حاولت إسرائيل بكل جهودها الإعلامية أن تنتقص من الثقة التي نالها الإعلام المصري ، وقد تصورت أنها وجدت ضالتها عندما تأخرت أجهزة الإعلام المصرية عن إعطاء صورة كاملة - مثلما تعودت منذ البداية - لعملية الثغرة الإسرائيلية (التليفزيونية) . وعلى الرغم من أن هذه السلبية الوحيدة جاءت نتيجة الظروف القتالية ، وتأخير القيادة المحلية الميدانية الصغرى في الإبلاغ عما يحدث .

وهذا نفسه ما ساعد القوات الإسرائيلية في التقاط أنفاسها على أرض المعركة بالرغم من ذلك إلا أن الإعلام المصري سرعان ما استعاد إيقاعه المنتظم الصادق ، وبالتالي فشلت المحاولات الإسرائيلية المتهافئة للنيل منه ، وجره إلى الهوة التي وقعت فيها أجهزة الإعلام الإسرائيلية نفسها منذ اللحظات الأولى .

تجربة شخصية :

من خلال عملي كمراسل حربي للإذاعة ، لاحظت بالتجربة - ما أشار إليه مراسلون أجانب - من أن البيانات العسكرية كانت تتوخى الصدق لدرجة أنها كانت تقلل أحياناً من حجم خسائر العدو وإمعانا في الدقة . فمثلاً . . كنت في قطاع الجيش الثاني في ثالث أيام القتال وشاهدت انتهاء معركة بين سرية مدرعات مصرية . . وكتيبة مدرعات إسرائيلية . . وحين تقدم قائد السرية المصرية الشاب إلى قائد اللواء ليلبغه بخسائر العدو (لم تتعرض سريته لأية خسارة) قال له . . « لقد دمرنا ١٣ دبابة باتون وستوريون » . واستمع إليه القائد الذي كان يراقب سير المعركة ، ثم أمسك بجهاز اللاسلكي ليلبغ بدوره عن نتائجها ، وفوجئ قائد السرية - وفوجئت أنا معه بالرجل وهو يقول : « دمرنا للعدو ٨ دبابات » . . وانفعل النقيب « صلاح » وسأل القائد لماذا أنقص العدد بهذه الصورة ؟ . وهو قد دمر بالفعل ١٣ دبابة وليس ثمانى دبابات ؟ فقال القائد . . أنا أصدقك تماماً . . ولكن العدو سحب خمس دبابات مصابة وبالتالي لا يمكن أن أعطى بياناً إلا بالدبابات الموجودة بالفعل لدينا !! »

واقنع الضابط الشاب . . وأذكر أنه ابتسم لي - في شيء من الضيق - عندما فتح الراديو الترانزستور بعد دقائق ، واستمع للبيان الذي أشار إلى تدمير « ٨ » دبابات

فقط في هذه المعركة ! !

- إلى هذا الحد كانت الدقة .. وكان الصدق ..

- وقد مررت بأكثر من تجربة لمست فيها يدي هذه الصفات التي أكسبت إعلامنا الثقة والاحترام ، ولعل لا أنسى ذلك الحوار الذي دار بيني وبين ضابط الأمن العسكري الذي أسمعته تسجيلاً لي من الجبهة وكان الجندي الذي أجريت معه المقابلة .. متحمساً بشكل واضح .. وتحدث عن بطولات زملائه (وليست بطولاته التي عرفها أنا) ثم أشار إلى فرار وهروب الجنود الإسرائيليين أمامهم ! !

وقد فوجئت باعتراض ضابط الأمن الصديق ، وقوله لي إن الجندي صادق في حوارهِ معك مائة في المائة ، ولكن هذه البطولات - برغم وقوعها - فيها ما قد يبدو نوعاً من المبالغة .. كما أن تصوير جنود العدو في هذه الصورة ليس مقبولاً - برغم صدقه في معارك مختلفة لأنه إذا كان عدد من ضباطهم وجنودهم قد فروا .. وهربوا تاركين مواقعهم ومعداتهم ، فإن البعض الآخر قاوم وحاول التثبت بموقفه ، وبالتالي فإن ما يقوله الجندي - في التسجيل - قد يوحي بأنه حكم مطلق وهذا ما نرفضه نحن .

» إلى هذا الحد كانت الدقة .. وكان الصدق .

• وبهذا التخطيط والتنفيذ كسب الإعلام المصري العربي جولته الخطيرة مع الإعلام العسكري . ولا ينتقص من هذه الحقيقة ذكر النظرية القائلة بأن العمل العسكري الناجح يحقق إعلاماً ناجحاً .. ذلك لأن الجهد التخطيطي والتنفيذي إعلامياً قد استثمر بذكاء نجاح العمل العسكري .. بعد أن نجح تماماً من عبور مانع اهتزاز الثقة الذي وقف في مواجهة الإعلام العربي - كما أشرت - منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

• ولهذا .. طلب المسئولون عن الإعلام في العالم من مراسليهم أن يأخذوا معلوماتهم من الجانب المصري (دون الجانب الإسرائيلي) ولهذا تجمع الإسرائيليون في شارع (صدين هامالك) ليسألوا (سقراط كوستا) المسئول عن أجهزة الاستماع للإذاعات العربية ..

« ماذا تقول إذاعة القاهرة .. يا كوستا ؟ ؟ »

اعتراف .. وشهادة :

« لقد تحدثنا أكثر من اللازم قبل « يوم الغفران » ويبدو أننا تعلمنا كيف نتكلم !

لقد كان المصريون صبورين ، كما كانت بياناتهم أكثر واقعية منا ، كانوا يقولون

ويعلنون الحقائق تماماً ، حتى بدأ العالم الخارجى . وبعد الأيام الأولى من الحرب يتجه إلى
الثقة فى أقوال وبيانات المصريين تماماً » .

(توقيع)

الجنرال حاييم هيرتسوج

المحدث العسكرى الإسرائيلى ومدير المخابرات

السابق

« لقد لوحظ اختفاء المبالغات من الإعلام العربى ، فى حرب ١٩٧٣ ، وطوال
أيامها ، قامت إذاعة القاهرة بإذاعة الأناشيد الوطنية والتعليقات المعتدلة إلى جانب ما
كانت تذيعه من نداءات - عن طريق موجة الإذاعة العبرية بها - تدعو فيها الشعب
الإسرائيلى للإطاحة بحكومته التى تقوده إلى كارثة !

إن المراقبين الإسرائيليين يشيرون إلى أن إذاعة القاهرة خاضت فى حرب أكتوبر
حرباً أخرى (شريفة) ، كما يشيرون كذلك إلى أن الإسرائيليين أصبحوا يحبون - بشكل
عام - الاستماع إلى محطة (كول كاهير) « صوت القاهرة باللغة العبرية » ويستقون
منها الأنباء » .

(توقيع)

مراسل وكالة الأنباء الفرنسية

فى تل أبيب